

المحاضرة السادسة

الرواية العربية والهوية و الانفتاح على الآخر

الجزء الثاني :

الرواية والهوية:

تواجه الرواية العربية قضايا مهمة ابرزها الحديث عن الهوية هذا الكيان المتطور المتحرك كونه من المفاهيم المثيرة للنقاش و الأبحاث العلمية ،و من خلال رحلة اكتشاف الذات و الآخر أخذت لغة الحوار مع الآخر حيزا مهما . هذا الآخر الذي بدأ يكثر حضوره في النص الروائي العربي و الذي كان نتيجة الاحتكاك بثقافته مع ما يحمله هذا التوجه من خصوصية و حساسية الأمر الذي يقتضي تعزيز ثقافة الحوار لأن غياب الحوار يؤدي الى التوتر و الخصومة.

فالفن الروائي اقتحم المناطق الصعبة التي تمتلئ بالمشاعر و تجارب الذات في عالم يموج بالتحوّلات ، و الانسان الذي يعيش في تفاعل مستمر مع محيطه عن طريق التكيف أو الاصطدام يجب عليه تعميق فهم الذات لتحديد رؤاها الخاصة .

و قد اقتحمت الرواية العربية المواضيع الساخنة و التي تخرجها عن الرتابة و الركود و تدفعها الى الانفتاح و الانصات الى الآخر ، و لذا سارعت الى البحث عن الذات و الهوية الثقافية الاطار الدائم لكل النشاطات.

الواقع العربي اليوم يعيش حالة من عدم التوازن المجتمعي و تعثر في ملاحقة التطورات الضارية ، و قد دعا الكتاب الى وجوب التفاعل الثقافي من منطلق النديّة و التكافؤ بعيدا عن الاستعلاء أو الاحتقار و بمنأى عن التباهي بماضي (الأنا) أو التماهي مع الآخر في دهشة و انبهار ففي كلا الأمرين نرى أنه يحدّ من فاعلية الانجاز الذي يجب أن يبني على حرية الانسان في صورتها الحقيقية.

و قد اتجه العديد من الروائيين الى البحث عن الهوية لارتباطها الوثيق بالشخصية الفردية أو الجماعية الوطنية في خضم صراع الاقصاء و الاستيعاب اللذين فرضهما واقع المواجهة الضارية بين الذات و الآخر في ظل الاختراق الثقافي و ايدولوجيا العولمة.

ليس بالضرورة اذ تحدثنا عن جدلية الأنا و الآخر أن تنحصر في الشرق و الغرب ، بل تعددت هذه الجدلية و تباينت أشكالها لتتجسّد في المكان أو الديانة أو حتى الانشطار الذاتي ليتشكّل (آخر) داخلي تبدأ معه رحلة الذات المأزومة الممزقة التي تتجاذبها الصراعات فتجعلها مبعثرة متشظية ، فالفرد يمكن أن يكون آخر حتى بالنسبة لنفسه رواية (اللس و الكلاب) ل(نجيب محفوظ) مثلا دليل على تمزّق الأنا. كما ظهر هذا في روايات اخرى حيث يكون البطل شخصا اغترابيا يعيش الانشطار و الانهزام مثل بطل رواية (عبد الرحمان منيف) (الاشجار و اغتيال مرزوق) و بطل رواية (عائد الى حيفا) ل(غسان كنفاني).

و نجد أن من بين الروائيين من يرى أن الجدران قد تهاوت بين الأجناس و أن على الانسان أن يحتفي بالآخر و يصوّر التوافق الذي يحكم سنة الحياة ، بينما البعض الآخر

يميل الى المحافظة على الكيان الذاتي و تعزيز الثقة بالفكر و القدرات الشخصية لتأسيس مفهوم الهوية من خلال الدعوة الى القومية و ارساء الهوية الثقافية باعتبارها رصيـد الانتماء.

و لكن أقرب السبل هو التوجه الداعي الى الاحتكاك و التفاعل مع الآخر من مبدأ الندية بعيدا عن الانعزالية نظرا للمصالح المشتركة.

يتحقق ذلك بفتح مجال الحوار الحضاري و احلال لغة الثقافة كبديل للغة العنف و فرض السيطرة , و قضية الحوار أصبحت قضية أساسية و ملحمة للتغلب على المشكلات الواقعية في عصرنا : السياسية، و الاقتصادية، و الاجتماعية.

و لكن هل استطاع الروائي العربي التأقلم مع المناخ الجديد الذي يميّزه تحطّم الحدود الثقافية و تبادل المعلومات و الخبرات ؟

نلاحظ ان هذا الانفتاح و الاطلاع على عالم الآخر أحدث لديه ارتباكا واضحا ليجد نفسه رهين النزعة الاجتماعية المتعصّبة وحيدة الاتجاه و الرفض للآخر أو قبول الآخر بشغف، مما أدى الى هاجس الكشف عن الهوية الذاتية التي أصبحت غامضة لما تعيشه من الانقسام بين متشبت بخصوصيته و باحث عن التغيير، و أصبحت الهوية محل مساومة، اما التخلي عنها و فقدانها تحت وطأة الآخر، و اما الركون الى الذات بالانعزال للحفاظ على الخصوصية الثقافية و الضارية العربية.

واضح أن كلا الاتجاهين يتسم بالمبالغة في الطرح الفكري، و هناك تيار يتوسط المساحتين يتحدث عن أن الاقتراب أكثر من الهوية و الوصول اليها يظل مرهونا بمعرفة الآخر الغريب ففي مرآة الآخر تكمن رحلة البحث عن الذات و الوصول اليها.

اذن البحث عن الهوية مازالت قضية العصر، فقد أجت الصراع الذي جعل الفكر العربي يبحث عن المسار الصحيح لتحديد مواقعها ضمن السياق الثقافي العام.

و لقد عالجت الرواية العربية الانتماء و الهوية بكثير من الاسهاب لتؤكد على عمق القضية و خطورتها يقول أحد المفكرين : ان الحفاظ على الهوية يظل من أهم العوامل التي وجب التنبيه اليها في ظل واقع أصبح فيه الانتماء الى السلطة هو المكان الوحيد للانتماء للوطن، فاخترلت مسألة الهوية لتصبح شعارا أجوفا يتغير بتغير السلطة و أصبح الانتماء لطرف ما او للسلطة يفقد الانتماء الطبيعي.

فالرواية العربية اذن تحاول الاجابة على التساؤلات ضمن اهتمام يطمح الى تقديم اطار أشمل للوعي بمفهوم الآخر و طرق التواصل معه و فهم الذات و وعيها.

اذ اتاحت الفرصة لصوت الأنا للتعبير عما يضطرب في أعماق الأفراد من مخاوف و آلام و أفكار فتنتلق في نقد الذات و الآخر معا.

و قد استطاعت الرواية بقدرتها على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها و أوهامها حيث ناقشت القضية و فتحت أمام المتلقي طريق فهم الذات و الآخر معا فقد طرحت الاشكالات التي تعانيتها الأنا في مواجهة الآخر و اوضحت قلقنا واضطراب رؤيتنا و احباطنا.

فالفضاء الروائي فتح أمامنا المجال لرؤية وجهات النظر المتعددة التي تواجهنا في الحياة و اسئلة (لأنا) و الأزمان التي تعترض الفرد في تشكيل هويته.

الهدف العام للمحاضرة

- هل نجحت الرواية في بناء جسور التفاهم بين الأنا والآخر؟

الأهداف الخاصة

مدى تأقلم الروائي مع مناخ تحطم الحدود الثقافية وتبادل الخبرات

- مدى قدرة الرواية على التعبير عن الذات والآخر

كيف أجاب الروائي عن تساؤلات الفرد والمجتمع أمام سيل المعارف المتنوعة

اسئلة التقويم

اسئلة تتعلق بالاجزاء المكونة للمحاضرة

مقال يناقش القضية الأساسية للمحاضرة

المراجع :

ابراهيم عباس	الرواية المغاربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي
فيصل دراج	نظرية الرواية والرواية العربية
محمد الداوي	صورة الأنا و الآخر في السرد